فاعـليَّةُ المَعْنَـي النَّحْـوِي
في تأويل لُغَةِ الشِّعـر عِـنْـدَ ابـنِ جِـنِّـي

بقلم الدكتور

مجاهد منصور مصلح المطري

أستاذ النحو والصرف المشارك بكلية الآداب

جامعة الوصل ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الأول (إصدار يونيو)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعليَّةُ المَعْنَي النَّحْوِي
في تأويل لُغَةِ الشِّعر عِنْدَ ابْنِ جِنِّي

مجاهد منصور مصلح المطري

قسم اللغة العربية وآدابها ـ بكلية الآداب ـ جامعة الوصل ـ دبي ـ الإمارات العربية المتحدة

البريد الإلكتروني : mjmj585@gmail.com

الملخص

تتناول هذه الدراسة " فاعلية المعنى النحوي في لغة الشعر" معتمدةً قراءة فيلسوف العربية " أبو الفتح ابن جني " للشعر وتأويله حيث انطلقت الدراسة من منهجه القائم على اعتماد المعنى النّحوي مَدْخلًا من مداخل تفسير النّص الشِّعري، وتوظيف توجيهاته الإعرابية، والاهتمام بالبعد الدّلالي فيها.

وتكمن إشكالية هذه الدراسة في طرح السؤال: ما دور المعنى النحوي في تأويل النص الشعري وقراءته؟؟ وهل جعل المعنى النحوي مدخلا من مداخل تأويل النص الشعري يساعد في الوصول إلى مقاصد النّص وأغــراضه.

ومما تهدف إليه الدراسة الكشف عن فاعلية النظام النّحوي، في اللغة الشعرية، وبيان أثره في تفسير النص الشعري وتأويله. وإبراز بعض الخصائص التركيبية لتلك اللغة العليا ـــ كما يسميها البعض ـــ.

وتتضمن الدراسة مقدمة توضح فكرة الموضوع، ومبحثين، الأول: يتناول رؤية "ابن جنّي" لفاعلية المعنى النحوي في فهم النص. والثاني: فاعلية المعنى النّحوي في لغة الشعر. وذلك من خلال بعض النماذج التي فسّرها " ابن جنّي ".

ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة: أن نظرة الأوائل للغة الشعر أدق وأشمل، لما تضمنته من رؤية فاحصة، تعبر عن تذوق رفيع للغة الشعر، من خلال الإبداع النّحــوي.

الكلمات المفتاحية : فاعلية ، المعنى ، النّحو ، لغة ، الشّعر ، ابن جنّي.

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

efficacy of the grammatical meaning On the interpretation of the language of poetry according to Ibn Jinni

MUGAHED MANSOOR AL MATARI

Departm of grammar and morphology, college OF ARTS, Al Wasl University, Dubai - United Arab Emirates .

Email: mjmj585@gmail.com

Abstract

This study deals with "the effectiveness of grammatical meaning in the language of poetry", based on the reading and interpretation of poetry by the Arabic philosopher "Abu al-Fath Ibn Jinni". The study started from his approach based on the adoption of grammatical meaning as an entry to the interpretation of the poetic text, and the employment of its syntactic potentialities, giving attention to the semantic dimension.

The study is to give answers to the questions: What is the role of grammatical meaning in interpreting and reading the poetic text? Has the grammatical meaning been made an entry to the interpretation of the poetic text to help in reaching the text's purposes and objectives؟

One of the aims of the study is to reveal the effectiveness of the grammatical system in poetic language, and to show its impact on the interpretation and appreciation of the poetic text. It also highlights some of the structural characteristics of that higher language - as some call it.

The study includes an introduction that presents the idea of the topic, and two chapters. The first deals with Ibn Jinni's vision of the effectiveness of grammatical meaning in understanding the text. The second displays the effectiveness of the grammatical meaning in the language of poetry through some of the quotes explained by "Ibn Jinni". Among the most important findings of the study is that the early philosophers' view of the poetic language is more accurate and comprehensive, as it contained a detailed vision, expressing a high taste for the language of poetry, through grammatical creativity.

Keywords: effectiveness; meaning; grammar; language; poetry; Ibn Jinni .

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَةُ

تتناول هذه الدراسة " **فاعليّةُ المعنى النَّحْوي في لغَة الشِّعر**" ممثلة في قراءة فيلسوف العربية " أبو الفتح ابن جنّي " للشعر، ورؤيته التحليلية الثاقبة في فهم النص الشعري، مما جعل الشاعر الكبير " المُتَنبِّي" يحيل إليه من يريد فهم شعره.

وقد انطلقت الدراسة من منهج" **ابن جنّي**" القائم على اعتماد المعنى النحوي مدخلا من مداخل تفسير النص الشعري، وتوظيف توجيهاته الإعرابية، والوقوف على البعد الدلالي فيها، أو ما يمكن تسميته بـ " المعنى النحوي " حسب استعمال الإمام "عبد القاهر الجرجاني " لهذا المصطلح في نظريته " النَّظْم ".

وللمعنى مكانة عالية في التحليل النَّحوي، حيث كان محور اهتمام كثير من رواد العربية الأوائل، كـ"سيبويه والمُبَرّد والسيرافي وأبي علي الفارسي وابن جنّي وعبد القاهر الجرجاني والزّمخشري" وغيرهم جاعلين المعنى وإيضاحه هي الغاية الأساسيَّة للنَّحو، ولأساليبه وتراكيبه.

وتعد قرينة الإعراب هي أهم مقياس يميِّز صحَّة المعنى من خطئه، وبدونه تتشابه الأساليب والمقاصد، وتلتبس المعاني فلا تدرك مراميها وأبعادها؛ ولذا كان لابدّ من إبراز أهمية الإعراب في إيضاح المعنى والإفصاح عمَّا يقصده المتكلِّم والتأكيد على دور الإعراب في فهم النص اللغوي باعتباره واحداً من القرائن التي تساعد على الوصول إلى المعاني والأغراض.

وإنّ جعل النظام النحوي ــ بما يتضمن من تراكيب وأساليب ومعانٍ ــ منطلقًا لتفسير النصوص اللغوية، وبخاصة النّص الشعري ليبرز أهمية النّحو في فهم النص بكل أجناسه، متجاوزا الجانب الشكلي والصنّاعي الذي طغى على فكر بعض النحاة المتأخرين، وفي أهمية النحو لفهم النصوص، ومنها الشعر يقول " أبو العباس ثعلب " أحد أئمة القرن الثالث الهجري" : لا يصح الشعر ولا الغريب ولا القرآن إلا بالنّحو. النحو ميزان هذا كله [١] ".

ومما يؤكد أهمية النّحو في الوصول إلى المعاني والمقاصد وأن المعنى هو مناط التوجيه الإعرابي، مقولة الإمام " أبو العباس المُبَرِّد " ــ رحمه الله ــ إذ يقول : " فَكلُّ مَا صلح بِهِ الْمَعْنى فَهُوَ جيد، وكل مَا فسد بِهِ الْمَعْنى فمردود" .[٢]

والواقع أن فاعلية النظام النحوي في خلق المعنى غير ماثلة في أذهاننا، وهذه الفاعلية عنصر مهم من عناصر حيوية اللغة، وقدرتها على أداء كثير من وظائفها، ولكن يظهر أننا حتى الآن لا نقدِّر خطر الفهم النحوي الناضج، أو نظن أن مراجعة المعاني أمر لا يهم المشتغلين بالشعر وفلسفة الفن. [٣]

وتكمن إشكالية هذه الدراسة في طرح السؤال: ما دور المعنى النحوي في تأويل النص الشعري وقراءته؟؟ وهل جعل المعنى النحوي مدخلا من مداخل تأويل النص الشعري يساعد في الوصول إلى مقاصد وأغراض النّص ؟.

---

(١) مجالس ثعلب ص ٣١٠

(٢) المقتضب جـ ٤ ص ٣١١.

(٣) ينظر مصطفى ناصف، دراسة الأدب العربي، ص٢١٤

ومما تهدف إليه الدراسة: الكشف عن فاعلية النظام النحوي، في اللغة الشعرية، وبيان أثره في شرح النص الشعري وتأويله. وإبراز بعض الخصائص التركيبية لتلك اللغة العليا.

وقد أفادت هذه المحاولة من بعض الدراسات المعاصرة التي ركزت على ذاك التفاعل الحاصل بين المعاني النحوية ــ بمفهوم عبد القاهر الجرجاني ــ والجانب الدّلالي، من خلال النصوص الشعرية، وأهمها دراسات الدكتور" محمد حماسة " ــ رحمه الله ــ وبخاصة: " فاعلية المعنى النّحوي في بناء الشعر" و " اللغة وبناء الشعر".

وتتضمن الدراسة **مقدمة** توضح فكرة الموضوع، ومبحثين، **الأول:** يتناول رؤية ابن جني لفاعلية المعنى النحوي في فهم النص عامة. **والثاني:** فاعلية المعنى النحوي في لغة الشعر خاصة. وذلك من خلال **بعض النماذج** التي وقف عندها " ابن جنّي " في شرحه لبعض النصوص الشعرية.

والله وليُّ التوفيق والسداد،،،

د/ مجاهد منصور المطري

المبحث الأول:
ابنُ جنّي[١] وفاعليَّةُ المَعْنى النَّحْوي

يعد فيلسوف اللغة أبو الفتح " ابن جنّي" ممن ينظرون إلى اللغة نظرة كلية شاملة لمستوياتها وفروعها المختلفة، ففروعها تشترك مع بعضها، وتلتقي في جوانب كثيرة كما في الأصوات والصرف والنّحو والمعنى، فكل مستوىً منها يكون مقدمة لما بعده وموصلا له، ويفيد بعضه من بعض، كما يستدل بعضه على بعض، وهو يوضح ذلك من خلال تناوله لنماذج قرآنية مختلفة في معظم مؤلفاته اللغوية، وكذلك من خلال تفسيره للنصوص الشعرية وبخاصة شعر " المتنبي " وذلك في شرحه للديوان.

ويعدّ " ابن جني " من اللغويين الذين أدركوا أهمية المعنى النحوي في تحليل النصوص وتأويلها، وكان هذا هو سمة منهجه في تناول أي نصٍ لغوي[٢]، ومن ذلك تناوله للقراءات القرآنية الشاذة في كتابه " المُحْتَسَب " وقد ربط الأوائل بين فهم تراكيب القرآن ومفرداته، وفهم الشعر ولغته، فمن عنده القدرة على فهم الشعر يكون مهيأً أكثر من غيره لفهم الخطاب القرآني؛ وقد اعتمد هذا النهج كثير من السابقين ــ مفسرين ــ كابن عباس ، ولغويين ــ كعبد القاهر الجرجاني ــ وذلك لأن وعاء كلٍ منهما واحد، ولكنّ شتان بينهما في النظم والتركيب. فذاك نص إلهي بالغ الإعجاز، والآخر نص بشري، ولكنه ذو لغة عالية، فللغة الشعرية من الخصائص والرخص ما ليس لغيرها. فإن " الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا. ويجوز لهم ما لا يجوز

---

(١) أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) فيلسوف اللغة وأحد كبار علماء اللغة، وله مؤلفات كثيرة، أهمها : الخصائص، والمحتسب في القراءات الشاذة.

(٢) ينظر حماسة : اللغة وبناء الشعر، مكتبة الزهراء، القاهرة ، ص ١٨ــ٢٠.

لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومد المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلت الألسن عن وصفه ونعته والأذهان عن فهمه وإيضاحه. فيقربون البعيد ويبعدون القريب ويحتج بهم ولا يحتج عليهم ويصورون الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل" (١)

ومن الظواهر التي تبرز منهج " ابن جني " السابق تناوله لظاهرة التقديم والتأخير من خلال مسألة تقديم المفعول به على الفاعل، مبيناً ما ينتج عنها من مستويات تركيبية ذات مقاصد مختلفة، حيث يقول : " ينبغي أن يُعلم ما أذكره هنا؛ وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل؛ كـ" **ضربَ زيدٌ عمرًا** "، فإذا عناهم ذكر المفعول قدَّموه على الفاعل، فقالوا: **ضرب عمرًا زيد** ٌ، فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل النّاصبِه، فقالوا: **عمرًا ضربَ زيدٌ**، فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رَبُّ الجملة، وتجاوزوا به حد كونه فضلة، فقالوا: **عمروٌ ضربَه زيدٌ** ، فجاءوا به مجيئًا ينافي كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: **عمرو ٌضربَ زيدٌ**، فحذفوا ضميره ونَوَوه ولم ينصبوه على ظاهر أمره؛ رغبة به عن صورة الفضلة، وتحاميًا لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة، ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له، وبنوه على أنه مخصوص به، وألغَوْا ذكر الفاعل مظهرًا أو مضمرًا، فقالوا: **ضُربَ عمرو**، فاطُّرح ذكر الفاعل ألبتة.(٢)

---

(١) القرطاجنّي: أبو الحسن حازم،(المتوفى:(٦٨٤هـ) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الثالثة،١٩٨٦م، ص ١٤٤، وينظر محمد حماسة، اللغة وبناء الشعر، ص ١٥، و ص٢٤.

(٢) ابن جني: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الناشر: وزارة الأوقاف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ج ١ ص ٦٥.

يتضح من طريقة تناوله للمسألة السابقة أنه يذهب إلى التمعن في المعاني المحتملة، من تقليبه للنص ولتراكيبه على أوجهه المختلفة، وكثيرًا ما يدلَّل على ذلك بالجانب التطبيقي، وهو يؤكد ارتباط رتبة اللفظة في التركيب اللغوي في الجملة والعبارة بالغرض والمعنى، خاصة في الشعر، فمنه قول " قيس بن العيزارة " { من الطويل}:

فَدَعْنَا وَنَحْصى حولَ بيتِك بالحَصَى ونلخاك[1] أَلْفاً نفسَ سلمى زَعيمُها

فالواو في " ونَحْصى" تحتمل أمرين:

ــ الأول أن تكون للاستئناف، وتعطف جملة على جملة أخرى، ولا موضع لهذه الواو وما بعدها.

ــ الآخر أن تكون واو الحال الصارفة إلى الابتداء، كأنه قال : " فدعنا ونحن نلخاك " ودلّ على حذف المبتدأ أنّ واو الحال هذه متقاضية له. وإذا جاز في بيت "الكتاب " [٢] وهو قوله { من الخفيف }:

لنْ تَراهَا ولَوْ تَأَمَّلتَ إلاّ ولَها في مَفَارِقِ الرَّأسِ طِيْبَا

١(١) ومعنى : نحصي : نرمي ، " نلخاك " من اللخا يعني الوَجور، ولخوتُ الصبي، إذا سقيته، ونلخاك نقشر منك ألفاً من الدّية، ويروى : " نَلْحَاكَ " بالحاء، وزعيمها : كفيلها،

(٢) سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، جـ ١، ص ٢٨٥. البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات في ملحق ديوانه ص ١٧٦؛ والكتاب ١/ ٢٨٥؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦/ ٣٥؛ والخصائص ٢/ ٤٢٩؛ والمقتضب ٣/ ٢٨٤.

أن يكون تقديرها: " إلاّ وأنت ترى لها في مفارق الرأس طيبا" بحذف طرفي الجملة كليهما، وهما ركنا الجملة. فكأن حذف أحدهما في بيت الهذلي السابق أجدر بالجواز.(١)

نلحظ أن فيلسوف اللغة " ابن جني" يدرك بعمق أهمية تحليل المستويات اللغوية المختلفة، وإبراز التفاعل والتضام الحاصل فيما بينها، فرؤيته التحليلية تصدر عن شمول ودقة واضحة؛ فعند تناوله لبيت الشاعر الهذلي السابق وقف عند الواو الرابطة متأولاً لها وجهين إعرابيين، ومع كل وجه معنى ومقصد دلالي وأسلوبي مختلف، حيث جاز في واو "تحصى" وجهان إعرابيان، الاستئناف، أو الحالية، ومع كل وجه معنى ومقصد مختلف.

كما أنه كثير الاهتمام بالجانب الدلالي، بل قد يقدم التأويل الدلالي للتركيب على التأويل الإعرابي، فقد بين أن أهل الحجاز ليس من اختيارهم أوجه القياس المعروفة تركيبًا، ولا إعرابًا، ولقد نبَّه لهذه الفكرة " سيبويه" فإن اللهجة الحجازية هي الأوفى في أداء الدلالة والإبانة عنها، ولا ينتقص الكلام عندهم انتقاص صنعة؛ ثم جاء بمثال أن أقوى اللغتين هي الحجازية في الاستفهام، وذلك عند السؤال عن الأعلام، نحو قولهم: " فيمن قال: مررتُ بزيدٍ: **من زيدٍ؟**"، فالجر هنا يشير إلى المسؤول عنه في جملة الاستفهام، والمفروض أن يكون "من زيدٌ؟ " بالرفع، ولكن لغة قريش قدمت المعنى وأضعفت الإعراب؛ لتقوية المعنى حتى لا يظن أنه " **زيدٌ** " آخر غير " زيدٍ"

---

(١) ابن جني: التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري، تحقيق: أحمد ناجي القبسي وخديجة الحديثي وأحمد مطلوب، وراجعه مصطفة جواد، مطبعة العالي، بغداد، الأولى ١٩٦٢م،ص ٢٢. و الخصاص: تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى بيروت، الطبعة الثانية ، ص٥٠٦،

المقصود، وتحديد العَلَم المقصود عن طريق استعمال نفس الحركة في الجملة الخبرية مررتُ "**بزيدٍ**" .

كما تناول ابن جني مسألة نحوية تركيبية ذات أبعاد دلالية، يبرز من خلالها فاعلية المعنى النحوي ودوره في التوجيه الإعرابي، وهي تمثل أهم سمات منهجه وتحليله العميق للظاهرة اللغوية، وربطه الدائم بين التركيب والدلالة، وذلك في قضية حذف أحد عناصر الجملة وضوابط ذلك الحذف.

"فإن قلت: فإذا كان المحذوف للدلالة عليه عندك بمنزلة الظاهر فهل تجيز توكيد الهاء المحذوفة في نحو قولك: "الذي ضربتُ زيدٌ" فتقول: " **الذي ضربتُ نفسَه زيدٌ**" كما تقول: " **الذي ضربتُه نفسَه زيدٌ** " قيل: هذا عندنا غير جائز؛ وليس ذلك لأن المحذوف هنا ليس بمنزلة المثبت، بل لأمر آخر وهو أن الحذف هنا إنما الغرض به التخفيف، لطول الاسم فلو ذهبت تؤكده لنقضت الغرض. وذلك أن التوكيد والإسهاب ضد التخفيف والإيجاز، فلما كان الأمر كذلك تدافع الحكمان فلم يجز أن يجتمعا، كما لا يجوز إدغام الملحق لما فيه من نقض الغرض. وكذلك قولهم لمن سدد سهمًا ثم أرسله نحو الغرض فسمعت صوتًا فقلت: " **القرطاس والله** " أي **أصابَ القرطاسَ**: لا يجوز توكيد الفعل الذي نصب "القرطاس ". لو قلت: إصابةً القرطاس فجعلت "**إصابةً** " مصدرًا للفعل الناصب للقرطاس لم يجز ، من قبل أن الفعل هنا قد حذفته العرب، وجعلت الحال المشاهدة دالة عليه، ونائبة عنه فلو أكدته لنقضت الغرض؛ لأن في توكيده تثبيتًا للفظه المختزل" [١] .

---

(١) ينظر : ابن جني : أبو الفتح عثمان ، الخصائص: تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى بيروت، الطبعة الثانية. جـ ١ ص ٢٨٧.

ونلحظ أن ابن جني يوجه التحليل الإعرابي للعنصر المحذوف حسب مقتضيات السياق ومقاصد المتكلم، فمن ذلك قولهم : " **ضَرْبًا زيدًا** " فلا يجوز جعل كلمة " **ضربًا** " مفعولا مطلقًا مؤكدا للفعل المحذوف" **اضرب**"؛ لأنّ الفعل حُذف وأنيب عنه الحال الدالة عليها وقرائن السياق كذلك، وسبب حذف الفعل هو الاختصار، ولو وجهت " **ضربًا** " على أنها توكيد للفعل المحذوف لنقضت القضية التي كنت حكمت بها لها وهي مسألة الاختصار والاختزال؛ لأن المحذوف ليس بتقدير الملفوظ به هنا، ولك أن تجعل " **ضربًا** " نائبا عن الفعل المحذوف وقائما مقامه في نصب المفعول به، وهو لفظة " **زيدًا** " .(١)

كما أنه يرجح أحد الأوجه الإعرابية المحتملة للكلمة، انطلاقا من إفادة المخاطب وقصدية المتكلم، ومن ذلك توجيهه لإعراب لفظة " خاسئين "في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾(٢). حيث رجح كونها خبرا ثانيا للفعل "كان" على الصفة، وذلك أن إعرابها صفة تكون غير مفيدة، و تُصَغِّر معنى التركيب؛ لأن صفة " الخاسئة " في القردة ملازمة لها. أما كونه خبرا ثانيا فتفيد حسنا ومعنى زائدا، كأنه قال: " كونوا قردة وكونوا خاسئين"، ألا ترى أن ليس لأحد الاسمين من الاختصاص بالخبرية إلا ما لصاحبه، وليس كذلك الصفة بعد الموصوف، إنما يتم اختصاص العامل بالموصوف ثم الصفة من بعدُ تابعة، فكونها خبرا جعلها عنصرا أساسيا وفاعلا في التركيب، وذلك بخلاف الصفة أو النعت الذي يكون في الأصل تابعا لما قبله ويستغنى عنه ــ غالبا ــ (٣) .

---

(١) ينظر السابق جـ١ ص ٢٨٨.
(٢) سورة البقرة: (٦٥).
(٣) ينظر الخصائص جـ ٢ صـ ١٥٨

ويعقب على ذلك بقوله : " ولست أعنى بقولي : إنه كأنه قال تعالى : " كونوا قردة كونوا خاسئين " أن العامل في (خاسئين) عامل ثانٍ غير الأوّل مَعَاذَ الله أن أريد ذلك إنما هذا شيء يقدّر مع البدل . فأما في الخبرين فإن العامل فيهما جميعا واحد، ولو كان هناك عامل آخَر لَمَا كانا خبرين لمخبَرٍ عنه واحد وإنما مُفَاد الخبر من مجموعهما . ولهذا كان عند " أبى عليّ " أن العائد على المبتدأ من مجموعهما لا من أحدهما؛ لأنه ليس الخبر بأحدهما بل بمجموعهما. وإنما أريد أنك متى شئت باشرت بـ (كونوا) أيّ الاسمين آثرت، وليست كذلك الصفة. ويؤنِّس بذلك أنه لو كانت (خاسئين) صفة لـ " قِرَدة " لكان الأخلق أن يكون " قردة خاسئة " وفي أن لم يُقْرأ بذلك ـ ألبتّة ـ دلالةٌ على أنه ليس بوصف . وإن كان قد يجوز أن يكون " خاسئين " صفة لقردة على المعنى إذْ كان المعنى: أنها هي هم في المعنى إلا أن هذا إنما هو جائز وليس بالوجه، بل الوجه أن يكون وصفا لو كان على اللفظ. فكيف وقد سبق ضَعْف الصفة ههنا " [١].

أما إذا تجاذب المعاني والإعراب فإنه يقدم المعنى بلا شكّ، فإنك تجد فى كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه. فمتى اعتورا كلاما ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب" [٢]. ويبرز ذلك من خلال تناوله لبعض النماذج القرآنية والشعرية، منها قوله تعالى:﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩﴾ [٣]، فمعنى هذا: " إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر، فإن حملته في الإعراب على

(١) الخصائص جـ ٢ صـ ١٥٩.
(٢) السابق جـ ٢ ص ٤٥٩
(٣) سورة الطارق : (٨- ٩)

هذا كان خطأ؛ لفصلك بين الظرف الذى هو "يوم تبلى" ، وبين ما هو معلّق به من المصدر الذى هو " الرَّجْع "، والظرف من صلته، والفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي أمر لا يجوز. فإذا كان المعنى مقتضيًا له والإعراب مانعًا منه، احْتَلتَ له، بأن تضمر ناصبًا يتناول الظرف، ويكون المصدر الملفوظ به دالًا على ذلك الفعل، حتى كأنه قال فيما بعد: يرجعه يوم تبلى السرائر. ودلّ (رجعه) على (يرجعه) دلالة المصدر على فعله(١). ومنه قول البحتري، { من الخفيف }:

لا هُنَاكَ الشّغلُ الجَديدُ بحَزْوَى عَنْ رُسُومٍ برَامَتَينِ قِفَارِ

فشبه الجملة "**عن رسومٍ** " فى المعنى متعلّقة بـ " الشّغل" أي: " لا هناك الشغل عن هذه الأماكن" إلا أنّ النظام النحوي لا يجيزه، وإن كان المعنى مسايرًا له؛ وذلك أن قوله: (الجديد) صفة للشغل، والصفة إذا جرت على الموصوف آذنت بتمامه، وانقضاء أجزائه. فإن ذهبت تعلّق شبه الجملة المذكورة بنفس " الشّغل" على ظاهر المعنى، كان فيه الفصل بين الموصول وصلته؛ وهذا غير جائز؛ فلا يفصل بينهما، ألا تراك لو قلت: عجبت من ضربكِ الشديد عَمْرًا لم يجز؛ لأنك وصفت المصدر وقد بقيت منه بقيّة، فكان ذلك فصلا بين الموصول وصلته بصفته. والصحيح أن تقول: " عجبت من ضربكِ الشديد عمرا "؛ لأنه مفعول الضرب، وتنصب عمرا بدلا من الشديد؛ كقولك. " مررت بالظريف عمرو" و" نظرت إلى الكريم جعفر". فإن أردت أن تصف المصدر بعد إعمالك إياه قلت: عجبت من ضربك الشديدَ عمرا

(١) السابق جـ ٢ ص ٤٥٩.

الضعيف، أى عجبت من أن ضربت هذا الشديد ضربا ضعيفا. فهذا يقوي تفسير المعنى ويرجحه على الإعراب. (١)

وبعد أن استعرضنا تلك الدلائل التي اتسم بها منهج "ابن جني" في تفسير النصوص اللغوية، وأنها صادرة عن عمقٍ في فهم اللغة بمفرداتها وبنيتها ومعانيها؛ ونلحظ أنه يريد ترسيخ أمرٍ اهتمّ به الأوائل، بل جعلوه منطلق تحليلاتهم للنصوص، وهو تقديم الدلالة والمعنى على معيارية القاعدة والصنعة النحوية ، وأن المعنى أولى من الإعراب في ترتيب أولوياتهم، وأن الإعراب لم يشغلهم بقدر انشغالهم بمقاصد التراكيب، والفروق التي بينها، مما جعلهم يهتمون بالمعنى أكثر؛ وإن حصل خروج عن السمت المعروف عند العرب من الكلام، سوغوا خروجهم عن الكلام المعهود للوصول إلى المعنى المراد، يقول "ابن جني": " فإن العرب قد تحمل على ألفاظها لمعانيها؛ حتى تفسد الإعراب لصحة المعنى"، أي من أجل معانيها؛ فالمهم ألَّا يفسد المعنى، وتوضع قرينة تدل على سلامة التركيب اللغوي(١)؛ فالدلالة العميقة تفهم من القرائن الظاهرة أو الدلائل الخفية الضمنية ما يلامس روح المعنى ولا يفسده.

وبهذا نصل إلى تناول نماذج شعرية فسّرها " ابن جني " مُنطلقًا من المعنى النحوي، وتفاعله مع الجانب الدلالي، وهذه سمة منهجية اعتمدها في تأويله للخطاب القرآني أو النص الشعري، و سنكتفي ببعضٍ منها.

---

(١) ينظر : الخصائص جـ ٢ص ٤٦١

(١) المحتسب جـ٢/٢١١

المبحث الثاني

ابن جنّي وفاعلية المعنى النحوي في تأويل الشعر

إن المعاني النحوية تتفاعل تفاعلا واضحًا مع ما ينتقيه الشاعر من مفردات وألفاظ وتراكيب، وما يربط بينهما من أدوات، وما ينتج عنها من الأساليب اللغوية والتراكيب النحوية؛ فيكون الجانب النحوي ممثلا في الإعراب دليلًا على المعنى، والمعنى موجِّه للإعراب، والمقصود بالمعنى هنا المعنى النحوي الوظيفي للتراكيب.

وقد أدرك حذاق اللغة ذاك التفاعل الحاصل بين النظام النحوي ولغة الشعر، واستطاعوا بفهمهم العميق وتناولهم الدقيق إبراز الجانب الإبداعي للشعر على أساس جماليات النّحو ومقاصد تراكيبه، وكما يقول " مصطفى ناصف " رحمه الله ــ : النحو مشغلة المبدعين" ، فمعرفة الشاعر باللغة وبمقاصد تراكيبها وأساليبها يضفي على نتاجه إبداعا جليًّا، وتفننًا في الأغراض والمعاني.

ولكنّ بعض النحاة قصروا نظرتهم على معيارية الجانب النحوي، عند تناولهم للشعر وشواهده، غير مدركين المعنى الآخر للنحو، وهو الأهم فيه؛ لأنه يتجاوز مجرد مستوى الصواب والخطأ والفساد اللغوي، مما جعلهم يكثرون من تصنيف بعضٍ منه بما يسمونه" ضرورةً شعريةً " وكأن الشاعر عجز عن الإتيان بما يلائم النظام النحوي مع المحافظة على استقامة الوزن والقافية.

فكان لا بدّ من وجود وسيلة ترضي كلا من الجانب النّحوي والجانب الإيقاعي، تتمثل في محاولة تأويل أو تخريج نحوّي تجعل مسار البيت الشعري مستقيما إيقاعيًا، وسليمًا نحويًا.

ويعد " أبو سعيد السيرافي " من أوائل من تأول ما يسمى " الإقواء في الشعر، حيث استطاع الإبقاء على الوزن والإيقاع والمحافظة على النظام النحوي، بتأويل وتخريج مقبول. وفي هذا يقول أبو سعيد: حضرت أبا بكر بن دريد وقد أنشد أبياتًا تُنْحَل لآدم، وهي:

تَغَيَّرتْ البلادُ ومَنْ عليها فَوجهُ الأرضِ مُغْبَرٌّ قَبيحُ
تَغَيَّر كلُّ ذِي لَونٍ وطَعْمٍ وقَلَّ بَشاشةُ الوّجهِ الصَّبيحِ(١)

فقال أبو بكر: أول ما قال أقوى. فقلت له: إنشاد البيتين على وجه لا يكون إقواء، وإنما هو: وقلّ بشاشة الوجه المليح، على تقدير: وقلّ بشاشةً الوجه المليح، فطرح التنوين، لالتقاء الساكنين، ومعنى: قلّ بشاشة الوجه المليح، كمعنى: وقلّ بشاشةً الوجه المليح، غير أنه نقل الفعل إلى الوجه، ونصب بشاشةً على التمييز، كما قال الله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾(٢) ، وإنما هو: واشتعل شيبُ الرأسِ، غير أنه حوّل فعل الشّيب إلى الرأس، ونصب شيبًا على

(١) البيت من الوافر، وينسب لآدم عليه السلام، ينظر السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هجري): الدر المنثور ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، جـ ٣ ص ٦٣.و شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، جـ ٢ ص ٢٥٥.

(٢) سورة مريم: (٤) .

التمييز. ويجوز أن يكون جعل بشاشة، وهي مصدر، في معنى الحال، فكأنّه قال: وقلّ باشّا الوجه. (١)

وكما يذكر البعض أن الضرورة عند المقتدر من الشعراء لها أبعاد نفسية لا استغناء عنها، والشاعر نفسيا لا يمكن أن يبدل تلك اللفظة مثلا مهما قيل، بل أكثر من ذلك هناك من الشعراء من لا يغيب عنه إمكانية تبديل البيت لتصبح نفس الكلمة في مكانها الطبيعي وزنا، فلا يقبل ويحبذها ظاهرة كضرورة لأنها في الوضع ذاك بالذات تظهر مكامن النفس التي تريدها. ونجد هذا واضحًا " عند ابن جني " كونه صاحب رؤية ثاقبة، ومتميزة في فهم النص الشعري، وله تأويل في خروج الشاعر في بعض الحالات عن بعض أصول النحو وقواعده، وأن مردّ خروجه هذا هو قدرته اللغوية والإبداعية، " فمتى رأيت الشاعر قد ارتكب مثل هذه الضرورات على قبحها وانخراق الأصول بها فاعلم أن ذلك على ما جشمه منه وإن دلَّ من وجه على جوره وتعسفه فإنه من وجه آخر مؤذن بصياله وتخمطه[٢] وليس بقاطع دليل على ضعف لغته ولا قصوره عن اختياره الوجه الناطق بفصاحته. بل مثلُه في ذلك عندي مثل مُجرى الجمُوح بلا لجام ووارد الحرب الضرُوس حاسرًا [٣] من غير احتشام. فهو وإن كان ملومًا في عُنفه وتهالكه فإنه مشهودٌ له بشجاعته،

---

(١) أبو سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (المتوفى: ٣٦٨ هـ) ، شرح كتاب سيبويه، المحقق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م، جـ ١ ص ٢١٥. وينظر سيبويه ومفهومه لهذه الضرورة، الكتاب، جـ ١ص ٢٦.

٢) تخمط الفحل : هدر وثار، وتخمط : تكبر.

(٣)أي مكشوف الرأس والذراعين.

ألا تراه لا يجهل أن لو تكفر[١] في سلاحه أو أعصم[٢] بلجام جواده لكان أقرب إلى النجاة وأبعد عن الملحاة [٣]لكنه جشم ما جشمه على علمه بما يعقب اقتحامُ مثله إدْلالًا بقوة طبعه ودلالة على شهامة نفسه " (٤). ومن هذا قوله {من المنسرح }:

فأصبَحتْ بعدَ خطّ بَهْجَتِها كأنّ قَفْرًا رسومَها قَلَما[٥]

أراد: " فأصبحت بعد بهجتها قفرًا كأنَّ قلمًا خط رسومها" ففصل بين المضاف الذي هو "بعد"، والمضاف إليه الذي هو "بهجتها" بالفعل الذي هو "خط"، وفصل أيضًا بـــ" خط " بين " أصبحت" وخبرها الذي هو " قفرًا "، وفصل بين كأنّ واسمها الذي هو " قلَّما" بأجنبيين: أحدهما " قفرًا" والآخر: " رسومها "؛ ألا ترى أن رسومها مفعول " خطَّ " الذي هو خبر" كأنّ" وأنت لا تجيز" كأن خبزًا زيدًا آكلٌ ". بل إذا لم تجز الفصل بين الفعل والفاعل، بالرغم من قوة الفعل في نحو" كانت زيدًا الحُمَّى تأخذ" ، كان ألا تجيز الفصل بين كأن واسمها بمفعول فاعلها أجدر.

---

(١) أي دخل في سلاحه وتغطى به واستتر.

(٢) الاعتصام والإعصام بمعنى واحد.

(٣) الملحاة: اللوم، وهو مفعلة من لحوت: قشرته.

(٤) الخصائص جـ ٢ ص ٣٩٢، و للشيخ عبد القادر البغدادي مقولة فريدة في فهم "الضرورة الشعرية" وتفسيرها، ينظر : البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م جـ ١ ص ٣٤.

(٥) الخصائص جـ ٢ ص ٣٩٥، وقد ذكره ابن منظور ـ (خطط) كذلك ولم ينسبه.

نعم وأغلظ من ذا أنه قدَّم خبر " كأنَّ " عليها، وهو قوله: خطَّ، فهذا ونحوه مما لا يجوز لأحد قياس عليه. غير أنَّ فيه ما قدمناه ذكره من سموّ الشاعر وتغطرفه، ، وتعجرفه [١]" [٢].

نلحظ أن ابن جني رأى عدول الشاعر عن بعض مظاهر النظام النحوي في البيت السابق، وهو فصله بين المتضايفين، وتقديم مالا يجوز تقديمه، ــ شجاعةً وتكبر، وقد تناول هذه المسألة في باب " شجاعة العربية " وجعل ذاك الخروج عن المعيار أمرا يحسب للشاعر وليس عليه، مع أن معظم النحاة لا يجيزون ذلك الفصل ولا ذاك التقديم، وأنه لا يقاس عليه ــ كما ذكر ابن جني في الفقرة السابقة. كما أنه لا يصنفه كما فعل البعض بالضرورة الشعرية، بل قبله واستحسنه ـــ كما ذكرنا ـــ وهناك من النحاة من يجيز الفصل بين المتضايفين، فهي مسألة خلافية بين النحاة. وقد تناول هذا الخلاف " أبو البركات الأنباري " في كتابه الإنصاف في مسائل الخلاف فقال: ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض[٣].

وبهذا نصل لتناول بعض النماذج الشعرية التي فسرها " ابن جني " انطلاقا من المعنى النّحْوي :

١ــ وَفاؤكُما كالرَّبْع أشْجاهُ طاسِمه[٤] بأنْ تُسعِدا والدّمْعُ أشفاهُ ساجِمُهْ[١]

---

(١) التغطرف : التكبر. والتعجرف: الإقدام.

(٢) الخصائص جـ ٢ ص ٣٩٥.

(٣) ينظر أبو البركات الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف جـ ٢ ص ٤٢٧.

(٤) ذهبت آثاره .

بأن فيه فصلا بين شبه الجملة التي هي المصدر المؤول من " أن وما دخلت عليه" في قوله : "بأن تسعدا " وبين المتعلق به وهو قوله: "وفاؤكما " وذلك الفصل بخبر المبتدأ " كالربع ..". ويذكر المعرّي " أن " ابن جني " سأل " المتنبي" وقت القراءة في إعراب هذا البيت، فقال له : الباء في(بأن) بأي شيء تتعلق؟ فقال : بالمصدر الذي هو (وفاؤكم). فقال له: فيم رفعت (وفاؤكما)؟ فقال :بالابتداء . فقلت : فأين خبره؟ فقال" كالربع " فقلت له : هل يصح أن يخبر عن اسم قبل تمامه وقد بقيت منه البقية وهي الباء؟ فقال :هذا لا أدري ما هو ، إلا أنه قد جاء في الشعر له نظائر" (٢). من ذلك قول الأعشى {من الطويل}:

لسنا كَمَنْ حَلَّتْ إيادٌ دارَها تَكْرِيْتَ تَنْظُرُ حَبَّها أنْ يُحْصَدَا

حيث أبدل " إياد" مِن " مَن " في قوله " مَنْ حلّت " ومعناه: لسنا كمن حلت دارها إياد، أي كأياد التي حلت دارها، فـ" دارها" ليست منصوبة بـ"حلت " المذكورة في البيت، وإن كان المعنى يقتضي ذلك؛ لأنه لا يبدل من

---

(١) والبيت من الطويل، ومعنى البيت :أنه خاطب صاحبيه وقد كانا عاهداه بأن يسعداه ببكائهما عند ربع أحبته، فقال: وفاؤكما بإسعادي شبه للربع، ثم يبين وجه الشبه بينهما بقوله" :أشجاه طاسمه "يعني أن الربع إذا تقادم عهده فدرس، كأن أشجي لزائره، أي أبعث لشجوه، أي: لحزنه، لأنه لا يتسلى به المحب كما يتسلى بالربع الواضح، وكذلك الوفاء بالاسعاد إذا لم يكن بدمع ساجم- (أي: هامل-كان أبعث للحزن، فأراد: أبكيا معي بدمع ساجم) فإن الدمع أشفى للغليل إذا سجم. كما أن الربع أشجى للمحب إذا عفا وطسم. انتهى كلامه . شرح أبيات مغني اللبيب جـ ٧ ص ١٦٨.

(٢) أبو المرشد سليمان بن علي المعري (ت٤٩٢هـ): تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، حققه: مجاهد الصواف و محسن عجيل، دار المأمون للتراث، دمشق، ص٢٢٣.

الاسم إلا بعد تمام معناه واكتمال صلته، والبدل إذا جرى على المبدل منه آذن بتمامه، وانقضاء أجزائه، فكيف يسوغ أن تبدل منه قبل أن تكتمل عناصره، وإنما تضمر فعلا يفسره الفعل الموجود، كما هو معلوم في النظام النحوي، يكون هو الناصب للفظة " دارها " ويقدر بـ " حلت " كأنه قال : "كمن حلت إياد حلت دارها " (١)

إن بيت المتنبي السابق شغل علماء اللغة في البحث عن توجيه إعرابي يناسب المعنى المقصود ولا يخرج عن النظام الإعرابي، فيذهب " ابن سيده " إلى أن شبه الجملة " بأن تسعدا "متعلقة بمحذوف ، أي وفاؤكما بالإسعاد(٢) . ويذهب البغدادي إلى أن شبه الجملة " **بأن تسعدا** " متعلق في المعنى بالوفاء، لأنه اراد: "وفاؤكما بأن تسعدا كالربع" ، فلما فصل بينهما بأجنبي، وجب عند النحويين تعليقه بمضمر، تقديره عند أبي الفتح: "وفّيتما بأن تسعدا" ، والمعنى: "وفيتما بإسعادي وفاء ضعيفا" ، ولذلك شبه وفاءهما بالربع الدارس.(٣)

أما " ابن الحاجب " فيرجح أن تكون "شبه الجملة " **بأن تسعدا** " خبرا لـ " **وفاؤكما** " "وقوله : " **كالربع** " مقدم وحقه التأخير . فتكون متعلقة

---

(١) ينظر الخصائص جـ ٢ ص ٣٩٤ والمعري تفسير أبيات المعاني ص ٢٢٣.

(٢) ابن سيده: أبو الحسن بن إسماعيل النحوي، شرح المشكل من شعر المتنبي. المحقق مصطفى السقا وحامد عبد الحميد ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص ٥٧.

(٣) ينظر البغدادي : شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ ، جـ ٧صـ ١٦٨.

بمحذوف تقديره حاصل. وما ذكره ابن جني في معناه عن المتنبي مشعر بأن الباء وما في حيزها في قوله: بأن تسعدا هو الخير عن "**وفاؤكما** ".[١]

ــ ومن نماذج المتنبي التي وقف عندها " ابن جني " قوله (من الكامل):

٢ــ المجدُ أخسرُ والمكارمُ صفقةً مِنْ أنْ يعيشَ لها الكريمُ الأَرْوعُ

معناه : المجد والمكارم أخسرُ صَفْقَةً، فإن حملت الإعراب على هذا اختلّ؛ لأنك تفصل بين " أخسر" وصفقة، وهي منصوبة بـ " المكارم" التي هي عطف على " المجد" فهذا غير جائز؛ لأن " صفقة " تحل من " أخسر" محل الصلة من الموصول، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : "زيدٌ أحسنُ وعمروٌ وجهًا " ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر غير هذا، فتجعل المكارم عطفا على الضمير الذي في " أخسر" فإن عطفته على الضمير الذي فيه لم يكن أجنبيا، ولا تعَّتده فصلا بينه وبين " صفقة" . وقرأت على أبي علي في نوادر أبي زيد:

فَخَيْرٌ نحنُ عندَ النّاسِ منكم إذا الدَّاعي المُثَوِّبُ قال: يالا[٢]

فلا يجوز أن يكون " نحن " مرفوعًا بالابتداء، و شبه الجملة " منكم " متعلق بكلمة " خير" على أنْ تكون " خير" خبر المبتدأ؛ لئلا تفصل كلمة " نحن " بين المتعلق به وهي " خير" وبين شبه الجملة المتعلقة " منكم " ، ولكن

---

(١) ينظر : ابن الحاجب، عثمان بن الحاجب أبو عمرو (ت- ٦٤٦ هـ) ، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار - الأردن، و دار الجيل – بيروت، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م. جـ ٢صـ ٦١٩.

(٢) هذا البيت من الوافر، وهو لزهير بن مسعود الضبي. أو سويد ، ينظر: أبو زيد الأنصاري (٢١٥هـ) النوادر في اللغة، تحقيق ودراسة، محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ص ١٨٥.. وينظر: السفر: شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، تحقيق رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، الأولى، ٢٠٠٤م.، جـ ١ ٨٠٠،

تعرب " نحن" ضمير فصل [١] توكيدًا للضمير المستتر في " خير" وتكون " خير" خبرا لمبتدأ محذوف، تقديره: فنحن خير نحن عند الناس منكم " وتكمن فائدة الحذف هنا ــ حذف المبتدأ ــ في مجيء "نحن " الثانية توكيدًا للضمير في" خير".[٢]

كما جوز "ابن جني" في بيت "المتنبي "السابق وجهًا إعرابيًا آخر، وذلك أن تنصب لفظة " صفقة " بفعل مضمر يدل عليه " أخسر " وتجعل لفظة " المكارم " عطفًا على "المجد" لا على الضمير المستتر في " أخسر " وتكون بهذا تجاوزت الفصل بين ما يجري مجرى الصلة والموصول، فيصبح التقدير: " المجدُ أخسرُ والمكارم أيضًا " وكأنك قلت " خسرت صفقة " فيدل " أخسر " على "خسرت " التي قُدِّرتْ، كما دلَّ " "أعلمُ " في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [٣]، على تقدير الفعل "عَلِمَ أو" يَعْلَمُ " الناصب للموصول مع صلته {مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ}؛ لأننا إن لم نقدر ذلك سَيُحملُ " مَنْ" الموصول مع صلته على أنه في محل جر بإضافته لـ " **أَعْلَمُ**"؛ لأنه اسم تفضيل، وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى شيءٍ كان بعضًا له، كما نقول: زيدٌ أفضل الناس " فيجب أن يكون واحدًا منهم،

---

(١) ومعظم النحاة يجعلون موقع ضمير الفصل لا محل له من الإعراب " ينظر بحث " مجاهد منصور : ضمير الفصل في القرآن الكريم " ص٧

(٢) ينظر الفسر جـ ٢ ص ٤١٣ .فخيرٌ مبتدأٌ، ونحنُ فاعلٌ سَدَّ مَسَدَّ الخبرِ، ولم يَسْبِقْ (خيرٌ) نفيٌ ولا استفهامٌ

(٣) سورة الأنعام: (١١٧)

فلذلك لم تجز الإضافة فيه؛ لأن الله تعالى وتقدست أسماؤه لا يكون بعض الضالين.(١)

٣ـ يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ وَقتٍ حُلَّةً أنَّى رَضِيْتَ بِحُلَّةٍ لا تُنزعُ[٢]

هو يقصد " يا من كان يبدل " فحذف الفعل الناقص " كان " وهو مراد هنا، وذلك قياسًا على توجيه بعض النحاة لقوله تعالى :قَالَ تَعَالَى:﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ البقرة: ١٠٢، أي "ما كانت تتلو" فَحُذف الفعل " كان ". وهذا تخريج أقل قصدًا وبيانًا عند " ابن جنّي " ؛ لأنه يقول : " وأما أهل الحذق بالعربية فعندهم أن الله تعالى أتى بلفظ فعل الحال على الحكاية: كما قال الشاعر (وهو من الرجز):

جَارِيَةٌ في رمضانَ الماضي تُقَطِّعُ الحديثَ بالإيماضِ[٣]

حكى حالها في الوقت، فكذلك حكى "المتنبي " ما كان يأتيه من تبديل الحُلَل حينئذٍ، فجاء بلفظ فعل الحال حكاية"(٤). وكأن ابن جني يجعل زمن الفعل المضارع في الآية " تتلو " زمنا سياقيًا ، وهو المضيّ وليس صرفيًا تدل عليه صيغة الفعل، وإنما السياق هو الذي وجه زمن الفعل هنا، وفي هذا

---

(١) ينظر الفسر جـ ٢ ص ٤١٣.

(٢) البيت من الكامل.

(٣) من الرجز، ولم ينسب، ينظر الفسر جـ ٣ ص ٤٥٠، والإنصاف في مسائل الخلاف : جـ ١ ص ١٥٣، وشرح الشواهد الشعرية جـ ١ ص ٤٢٠، وقد استعمل الفعل المضارع " تقطّع " لحدث ماضٍ على الحكاية. والإيماض من أوْمَضَتِ الْمَرْأَةُ بِعَيْنَيْهَا : أَلْقَتْ نَظْرَةً خَفِيفَةً، عَابِرَةً.

(٤) السابق ٤١٥. وينظر خزانة الأدب جـ ١ ص ١٥٦.

يذكر "السمين الحلبي " أن الفعل " تتلو " في الآية السابقة بمعنى " تلت"، فهو مضارع واقع موقع الماضي، كقول زياد الأعجم (من الكامل):

وإذا مَرَرْتَ بقبرِه فاعْقِرْ بِه كُومَ الهِجانِ وكلَّ طَرْفٍ سابحِ
وانضَحْ جوانِبَ قبرِه بدِمائِها فَلَقَدْ يكونُ أخا دمٍ وذَبائحِ[1]

أي " فلقد كان " فالفعل المضارع " يكون" بمعنى الماضي، وقال الكوفيون : الأصل : ما كانت تتلو الشياطين، ولا يريدون بذلك أن صلة " ما " محذوفة، وهي " كانت" وتتلو في موضع الخبر، وإنما قصدوا تفسير المعنى، وهو نظير " كان زيدٌ يقومُ" المعنى على الإخبار بقيامه في الزمن الماضي[2]، وهو ما سماه "ابن جني "بحكاية الحال، التي رجحها على تقدير " كان " حسب رأي الكوفيين؛ لأن فيه تفسيرا للمعنى واعتمادا عليه، وهذا هو منهج ابن حني في تغليب الجانب الدّلالي على الجانب الإعرابي عندما يتجاذبان، كما أن فيه محافظة على النظام الإعرابي أيضًا.

٤ــ ابْعَدْ بَعِدْتَ بياضًا لا بياضَ لهُ لأنتَ أَسْوَدُ في عيني مِنَ الظلَمِ[3]

"ابْعَد " هنا من البَعْدِ : **بَعِدَ الشيءُ يَبْعَدُ بُعْدًا**، وذلك إذا هَلَكَ، فهو دعاء عليه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾[4]، وليست من " بَعُدَ يَبْعُدُ

(١) ابن قتيبة : الشعراء والشعراء، جـ ١ ص ٤٢٢.
(٢) ينظر السمين الحلبي : أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.، جـ ٢ ص ٢٨ .
(٣) البيت من البسيط.
(٤) سورة هود : (٤٤).

بُعدًا، إذا تباعد، وهو ضد القُرب. ودعاؤه عليه بالبَعَد: أبلغ من دعائه عليه بالبُعد، لأنه إذا هَلَك فقد صار إلى العَدَم، وإذا "بَعُد" كان في الوجود وإن لم يُقْرب. والبَعَد أمْحى له من البُعد [١].

وقد استعمل المتنبي هنا صيغة " أسود" الدالة على أفعل التفضيل؛ إلا أن النحاة لا يجيزون صياغة " **أَفْعَل** " التفضيل من الرباعي فما فوق ــ الذي هو هنا "**اسْوَدَّ** " ــــ ولا يقال أنت أسود من كذا، ولا أحمر منه؛ لأن الألوان والعيوب لا يُبنى منها فعل التعجب ولا ما كان في معناه، وقد أجازه بعض الكوفيين، فقد ذُكر عنهم استشهادهم بقول الراجز :[٢]

جاريةٌ في دِرْعِها الفَضفاضِ تُقَطِّعُ الحديثَ بالإيماضِ

أبيضُ مِنْ أختِ بَنِي إباضِ[٣]

فقد استعمل الشاعر صيغة "أفعل " التفضيل " أبيض " على غير قياس، وكان المفترض أن تجلب لفظة من كلمة أخرى يجوز فيها اشتقاق صيغة التفضيل، نحو كلمة " **أشدُّ** " فيقال" هو أشدُّ سوادًا أو بياضًا ــ مثلا ــ

ولكن ابن جني " ــ رحمه الله ــ وجه صيغة " أفعل في بيت المتنبي السابق: بأنها من " أَفَعَلُ " الذي مؤنثه "فَعْلاءُ " كقولك: أبيض وبيضاء، وذلك من قبيل الوصف المحض الذي تأنيثة سوداء، وليس " أفعل " المراد بها

---

(١) ينظر ابن منظور : لسان العرب جـ ٣ ص ٩١ وابن سيده (ت ٤٥٨هـ): شرح المشكل من شعر المتنبي ص ٩، والبيت السابق من البسيط.

(٢) ينظر الفسر جـ ٣ ص ٤٤٩. وابن يعيش (ت. ٦٤٣ هـ) : شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م جـ ٤ص ١٢٤.

(٣) سبق ذكره ينظر ص ٢٦.

المفاضلة، التي تصحبها " من " الجارة، نحو: "هو أحْسَنُ منك، وأكرمُ منك". وإنما لفظة "المتنبي " في البيت بمنزلة قولك : هو حَسَنُ القوم وجهًا ، و هو كريمهم أبًا، وكأنه قال : "لأنت أسودهم " فيكون قوله : لأنت أسودُ في عيني " كلامًا تاما مفيدًا، ثم ابتدأ بكلام وهو صفة للفظة " أسود" وهو قوله : "من الظلم"، كما تقول : هو كريمٌ من الأحرار، وسريٌّ من أشراف، ووضيعٌ من لئامٍ. وقال الأعرابي [١]: من الطويل

وأبيضُ من ماءِ الحديدِ كأنّهُ شِهابٌ بدا والليلُ داجٍ عساكرُه

فإن أبيض هنا صفة مشبهة، وليست أفعل تفضيل، فشبه الجملة : " من ماء الحديد" وصف لأبيض، وليس متصلا به كاتصال " من " بـ " خير " في قولك : هو خير منك " أي لست متعلقة بها، فتكون في محل نصب، كما تقول : "هو خيرٌ منك "فـ " منك " في موضع نصب بـ " خبر" كأنه قال : قد خارك يخيرك: أي صار خيرا منك، فشبه الجملة في بيت المتنبي " من الظلم " متعلق بمحذوف صفة لـ " أسود" [٢] .

ويذكر ابن سيده أن من غلّط المتنبي في البيت السابق فقد أخطأ، لأن " أسود " في البيت ليس للمفاضلة ولا تعد شبه الجملة بعدها متعلقة بها، فهي بمعنى : " لأنت أسود، ومعدود من الظُّلم في عيني " فشبه الجملة في محل رفع صفة لأسود المذكورة [٣].

---

(١) البيت لم ينسبه أحد، وهو في وصف سيف ، ينظر الأنباري : الإنصاف في مسائل الخلاف ص ١٥٣. وشرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، جـ ١ صـ ٤٢٠.

(٢) ينظر الفسر جـ ٣ ص ٤٥٠.

(٣) ينظر شرح المشكل لابن سيده.، ص ٨.

وقد قوّى ابن جني تخريجه السابق لشبه الجملة " من الظلم" بتناوله بيت الأعشى " الذي هو قريب من عبارة المتنبي السابقة في مسألة تعلق " مِنْ " بـ " أَفْعَل " التفضيل أو بشيء آخر، يقول الأعشى " من السريع" :

فلستَ بالأكثَرِ منهم حصىً وإنّما العزّةُ للكاثرِ

حيث جعل شبه الجملة " منهم " حالًا من تاء (لستَ) كقولك: لستَ فيهم بالكثير مالًا، وما أنت منهم بالحسن وجًها، أي لست من بينهم وفي جملتهم بهذه الصفة كقولك: أنت والله من بين الناس حرّ، وزيد من جملة رهطه كريم. وليست " من هنا متعلقة بأفعل التفضيل " الأكثر " [١].

وهناك من جعل شبه الجملة في بيت الأعشى السابق متعلقة بما قبلها وهو صيغة التفضيل" الأكثر" إلا أن النحاة يمنعون وقوع " مِن " الجارة بعد التفضيل المقترن بـ " أل ". وقد أجاز الجمع بينهما " أبو عمر الجرمي " مستدلا بهذا البيت ونحوه، ومنعه الجمهور، ولهم في تخريج البيت على مذهبهم توجيهات مختلفة. [٢]

والخلاصة أن مسألة مجيء أفعل التفضيل عند البصريين لا يأتي مما الوصف منه على "أفعل "الذي مؤنثه فعلاء، مما دلّ على لون أو عيب أوحِلية؛ لأن الصفة المشبهة تُبْنى من هذه الصيغ على وزن "أفعل" فيحصل لبس في ذلك، ولذا يتوصلون إلى أفعل التفضيل منها بزيادة من لفظة " أشدّ" فيقال: هو أشد بياضًا ــ مثلا ــ .

---

(١) ينظر الخصائص جـ ٣ ص ٢٣٤ .

(٢) ينظر السابق جـ ٣ ص ٢٣٤

أمّا الكوفيون فيجيزون بناء التفضيل من لفظي السواد والبياض؛ لكونهما أصلي الألوان، ولمجيئه في السماع(١). ورأي الكوفيين صحيح ومقبول، ويمكن تخريج بيت المتنبي عليه، ويكون المعنى صحيحا ومرادا.

ولكنّا نلحظ أن ما قام به "ابن جني " هو إمكانية الجمع بين معيار النظام النحوي عند جمهور النحاة، والمحافظة عليه، ومراعاة المعنى والغرض كذلك ، وهذا ما يحسب له في دقة تخريجاته وتوجيهاته النحوية، كما أنه يقدم مراعاة المعنى على الإعراب إذا تجاذبا ــ كما يطلق عليه ــ وقد لحظنا ذلك في مواضع مختلفة من الدراسة.

(١) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش جـ ٤ ص ١٢١،

الخاتمة

وفي نهاية هذه الدراسة نلخص أهم النتائج التي توصل لها الباحث:

- إنّ نظرة الأوائل للغة الشعر أدق وأشمل، لما تضمنته من رؤية فاحصة، تعبر عن تذوق رفيع للغة الشعر من خلال الإبداع النحوي الذي يُبنى عليه الشعر .
- إنّ فاعلية المعنى النحوي هي الوسيلة الأهم في فهم النص اللغوي بكل أجناسه ومستوياته، وقد أدرك ذلك رواد العربية الأوائل ومنهم "ابن جني" .
- لحظنا في النماذج الشعرية التي تناولها " ابن جني " أنّ المعنى النحوي هو المدخل الأساس لتفسير الشعر وتأويله. وهو عينه ما قام به عبد القاهر الجرجاني في تناوله لنظرية النظم في القرآن الكريم.
- ربط ابن جني بين فهم الخطاب القرآني، والنص الشعري، فكثيرا ما يرجع لهما في تخريج وجهٍ نحويٍ. ويقارن بينهما في تأويل الشعر.
- يعدّ ابن جني رائد التفاعل النحوي الدلالي؛ لكونه يوظفه في الوصول إلى المقاصد والأغراض، ومرجع ذلك رؤيته الثاقبة، ومنهجه الدقيق
- إن جعل النظام النحوي وتراكيبه مرجعًا رئيسًا لتفسير النص ليُبرز وظيفة النحو الدلالية، ويكشف جمالياته، وأسرار أساليبه.

مصادر البحث ومراجعه

١ــــ ابن الأنباري : أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق جودة مبروك، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، مصر، الأولى، ٢٠٠٢م.

٢ ــ البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٣ــ شرح أبيات مغني اللبيب، تحقيق: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث، بيروت، الأولى، ١٤١٤ هـ

٤ــ ثعلب : أبو العباس أحمد بن بن يحي، مجالس ثعلب ، شرح وتحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر، الثانية.

- **ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي**:

٥ــ التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري، تحقيق: أحمد ناجي القبسي وخديجة الحديثي وأحمد مطلوب، وراجعه مصطفى جواد، مطبعة العالي، بغداد، الأولى ١٩٦٢م

٦ــ الخصاص: تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى بيروت، الطبعة الثانية. بدون.

٧ــ الفَسْر: شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، تحقيق رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، الأولى، ٢٠٠٤م.

٨ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٩ــ ابن الحاجب: عثمان بن الحاجب أبو عمرو، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، دار عمار – الأردن، و دار الجيل – بيروت، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م

١٠ ــ حماسة : محمد حماسة عبد اللطيف:

فاعلية المعنى النحوي في بناء الشعر، مجلة دراسات عربية وإسلامية، العدد الأول، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٣.

١١ـــ أبو زيد الأنصاري، سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي: النوادر في اللغة، تحقيق ودراسة، محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م

١٢ــ اللغة وبناء الشعر، مكتبة الزهراء، القاهرة.

١٣ــ رشيد بن قسيمة، فاعلية المعنى النحوي في إضاءة النصوص الشعرية، دراسة في لا مية العرب، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة ـــ الجزائر.

١٤ــ السمين الحلبي : أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

١٥ــ السيرافي: أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨ م.

١٦ــ سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م

١٧ــ ابن سيده: أبو الحسن بن إسماعيل النحوي، شرح المشكل من شعر المتنبي. المحقق مصطفى السقا وحامد عبد الحميد ، دار الكتب المصرية، القاهرة.

١٨ــ السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

١٩ــ فاطمة عبد الله الشهري، فاعلية المعنى النحوي، في توجيه الاحتمالات الإعرابية، في كتاب الشعر لأبي علي الفارسي، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، المجلد العاشر، العدد ٣٦.

٢٠ــ القرطاجني: أبو الحسن حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق : محمد الحبيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الثالثة،١٩٨٦م..

٢١ــ محمد بن محمد حسن شُرَّاب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٧ م.

٢٢ــ المبرد: محمد بن يزيد أبو العباس: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب. – بيروت، بدون.

٢٣ــ مجاهد منصور: ضمير الفصل في القرآن الكريم، دراسة نحوية دلالية، مجلة الآداب للدراسات الأدبية واللغوية، جامعة ذمار، اليمن، العدد السابع، ٢٠٢٠م.

٢١ــ مصطفى ناصف: دراسة الأدب العربي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

٢٤ــ المعرّي: أبو المرشد سليمان بن علي: تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، حققه: مجاهد الصواف ومحسن عجيل، دار المأمون للتراث، دمشق،١٩٧٩م.

٢٥ــ ابن منظور: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الثالثة – ١٤١٤ هـ

٢٦ــ ابن يعيش: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١٠٠٧
٢-	Abstract	١٠٠٨
٣-	المُقَدِّمَةُ	١٠٠٩
٤-	المبحث الأول: ابنُ جنّي وفاعليَّةُ المَعْنى النَّحْوي	١٠١٢
٥-	المبحث الثاني : ابن جنّي وفاعلية المعنى النحوي في تأويل الشعر	١٠٢١
٦-	الخاتمة	١٠٣٦
٧-	مصادر البحث ومراجعه	١٠٣٧
٨-	فهرس الموضوعات	١٠٤٠